## من الأسباب الرئيسية لتخلف المسلمين :
## عدم فهمهم للإسلام .. واهتمامهم بالجوانب الشكلية [1]

كان ملتقى الفكر الإسلامى الذى عُقِدَ خلال الشهر الماضى - سبتمبر سنة ١٩٨٦ - فى الجزائر فرصة للقاء عدد من أبرز العلماء والمفكرين الإسلاميين الذين اشتركوا فيه .. وقد عرضنا فى الأسبوع الماضى للقاء الذى تم مع المجاهد الإسلامى الكبير الشيخ أبى الحسن الندوى - واليوم نعرض للقاء الذى تم مع الداعية الإسلامى الكبير الدكتور يوسف القرضاوى عميد كلية الشريعة بجامعة قطر وصاحب العديد من المؤلفات والدراسات الإسلامية .

● كيف ينظر الداعية الكبير إلى ما يجرى الآن على الساحة الإسلامية من سلبيات وخلافات وحروب أبرزها الآن الحرب الدائرة بين إيران والعراق ؟

● ● بعض الناس يرجعون ما يجرى الآن على الساحة الإسلامية إلى تخطيط اليهودية العالمية والصليبية الغربية والشيوعية الدولية ، وأنا لا أريد أن أنفى المؤامرة الخارجية فيما يحدث لأننا نعتقد أن هناك بالفعل كيداً للمسلمين على كل مستوى ، ولكن أريد أن نتحمل المسئولية ، إن المسلمين لسوء فهمهم لدينهم ودنياهم يقعون فى مثل هذه الأمور لأن هذه الحروب القائمة بينهم لا لمصلحة الدين ولا لمصلحة الدنيا .. الدين يرفض أن يقتل المسلم أخاه المسلم ، وقد حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من هذا القتال حين قال : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، وقال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ». الإسلام يرفض تماماً أن يشهر المسلم سلاحه فى وجه المسلم .. وإنى لفى عجب كيف أصبح المسلمون الذين وصفهم الله بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ،

---

(١) نشر فى جريدة الأهرام - القاهرية - بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٦ أجرى الحوار الأستاذ محمود مهدى مساعد رئيس التحرير ، والمشرف على القسم الدينى بالأهرام .

أصبحوا أشداء على أنفسهم رحماء بغيرهم .. إن تجار الحروب وحدهم هم المستفيدون من ضعف المسلمين ، فحين يتقاتلون يبيعون لهم السلاح بالبلايين ، وحين تضع الحروب أوزارها هم الذين سيكسبون البلايين التى ستنفق فى تعمير ما خرّبته الحروب ودمّرته » .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى :

« الحق إن الحرب بين إيران والعراق حرب لا عقل لها ، لا يستطيع الإنسان أن يبررها بأى منطق ، لا بمنطق الدين ، ولا بمنطق الدنيا ، ولا بمنطق الاقتصاد ، ولا بمنطق الأخلاق . وينبغى أن توقف فوراً .. وعسى أن يسعى العقلاء من المسلمين - وقد سعى بعضهم من قبل ، ولكن للأسف لم يأتوا بنتيجة - أقول : عسى أن يسعى العقلاء مرة ومرة حتى يوقف هذا النزيف الدموى الخطير الذى لا يرضى عنه الله ولا العقلاء من الناس » .

● يرى البعض أن يلتقى عدد من علماء الأمة ومفكريها فى بلد محايد - غير العراق وإيران - ويواصلوا السعى فى تحقيق الصلح . . فماذا ترون ؟

● ● أرى أنه لا بد من السعى للصلح ، وإذا صدق العزم وضح السبيل ، ومَنْ سار على الدرب وصل ، والله تعالى يقول فى قصة النزاع بين الزوجين : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (١) .

ولما بعث عمر رضى الله عنه حَكَمين فى قضية من هذا النوع وعادا قائلين : لم نستطع الإصلاح . قال لهما : أصلحا نيّتكما وعودا . فعادا بنية غير الأولى فوفقهما الله ..

ولهذا أقول : إذا اجتمع أناس من أهل العلم والفكر الإسلامى ممن لا يشك أحد فى صدق نيّتهم وعملهم وإخلاصهم ، وعلى أرض محايدة ، ووجهوا نداء إلى الفريقين ، لعل الله سبحانه ببركة هذه النيّة الصالحة يوفق بين الفريقين ويتحقق الصلح بينهما .

* *

(١) النساء : ٣٥

## أزمة فى الدعوة والدعاة

● ماذا ترى فى دعاة اليوم .. فيمَنْ يتصدون لمسئولية الدعوة ؟ هل تعتقد - كما يعتقد البعض- أننا نعيش الآن حالة أزمة فى الدعوة والدعاة ؟ وما هو المخرج من هذه الحالة من واقع خبرتكم الطويلة فى هذا المجال ؟؟

● ● إن هناك أزمة فى الدعوة والدعاة لا شك فى ذلك .. ولكن لا بد أن نحدد ما المراد بالدعوة والدعاة ؟

ليس المراد عندى بالداعية مجرد الخطيب الذى يؤثر فى الناس بوعظه وصوته وقصصه التى يثير بها العواطف .. هذا قد يوجد ، وإنما أريد الداعية الفقيه ، الداعية الذى يعرف حقيقة الإسلام ويعرف ما يجرى فى هذه الحياة ، لا يعيش منعزلاً عن عصره وما يدور فيه من تيّارات وما يعتريه من مشكلات .. نحن نريد الداعية الذى يفقه أحكام اللّه الشرعية وسُنَن اللّه الكونية .. نحن الآن فى حاجة إلى الداعية الفقيه الذى يُعلّم الناس الإسلام حق التعليم .. الداعية الذى لا يُشغل الناس بالسُنّة وهم يضيعون الفرض ، ويشغلهم بأمر مختلَف فيه وهم يرتكبون الكبائر !!

ومن أسف .. فإن كثيراً من المسلمين يشتغلون بالمرجوح عن الراجح ، وبالمفضول عن الفاضل ، وبالنوافل عن الفرائض . مع أن المقرر عندنا فقهاً أن اللّه تعالى لا يقبل النافلة حتى تؤدَى الفريضة .. والسَلَف يقولون : « مَنْ شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومَنْ شغله النفل عن الفرض فهو مغرور » .

من هنا لا بد من إعداد دعاة على مستوى الإسلام من ناحية ، وعلى مستوى الدعوة المطلوبة .

* *

وقد تناول الحديث مع الدكتور القرضاوى عدداً كبيراً مما يدور الآن على الساحة الإسلامية نعرض اليوم لبعضه . ونواصل عرض الباقى فى الأسابيع القادمة ..

لقد تحدثنا عن واقع العالم الإسلامى المعاصر وأسباب التخلف الذى يعيش فيه معظم المسلمين فى بلاد العالم .. كما تحدثنا عن مشكلات الدعوة ومستوى الدعاة ، وما يرتبط بذلك من فراغ دينى لدى بعض الشباب ، وتطرف فى الفهم والسلوك لدى البعض الآخر .. وتناول الحديث مع الداعية الإسلامى الكبير قضايا إسلامية أخرى مثل : قضية تطبيق الشريعة ، والحرب بين إيران والعراق بصفة خاصة ، والمنازعات القائمة بين المسلمين بصفة عامة والسبيل لمواجهتها ..

ثم كان لنا حديث مفصّل حول الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه فى وقت جدّت فيه كثير من المسائل - خاصة فى جانب المعاملات - تحتاج إلى حسم يريح ضمائر المؤمنين .

عن الواقع المعاصر للمسلمين وأسباب تخلفهم بعد أن كانوا قبل فى مرتبة القيادة والريادة فى كثير من مجالات الحياة يقول الدكتور يوسف القرضاوى :

« ما نحن فيه اليوم هو نتيجة لما وقع للمسلمين فى الأعصر الأخيرة . حينما أساءوا فهم الإسلام وأساءوا تطبيقه ، فأخذوا منه جانباً ونسوا جوانب .. لقد اهتموا ببعض الجوانب العبادية وبعض الجوانب الشكلية . أما الجوانب الاجتماعية .. الجوانب العلمية .. الجوانب التى تتعلق بكيان الأمة ، فقد أُهملت رغم أن الإسلام أعطى هذه الجوانب الشئ الكثير ، ولننظر فى قول النبى ﷺ : « ألا أدلكم على أفضل من الصلاة والصيام والصَدَقة ؟ إصلاح ذات البين » إن النبى ﷺ هنا أعطى المعنى الاجتماعى أكثر من المعنى التعبدى الفردى » .

ويضيف الدكتور القرضاوى : « لقد قرر فقهاء الأمة أن كل علم يحتاج إليه المسلمون فى دينهم أو دنياهم فإن تعلمه وإتقانه فرض كفاية تأثم الأمة كلها إذا

فرُّطت فيه - وأولو الأمر خاصة .. إن الطب والهندسة والتشريح والفيزياء والكيمياء وغيرها ... علوم يحتاج إليها المسلمون ، ومع هذا لم تُعْطَ حقها ، واشتغل المسلمون بما سموه علوم الدين وتوّسعوا فيها توسعات لم تكن عند السَلَف الصالح . وكان أولى بهم لو شغلوا أنفسهم بما يهمهم ويرفع من شأنهم فى أمر دنياهم ، وقد ترتب على هذا أن أوروبا التى أخذت منا منهج الحضارة الإسلامى : المنهج التجريبى الاستقرائى ، استفادت به وارتقت ونحن وتخلفنا ، وبعد أن أفقنا وجدنا المسافة شاسعة بيننا وبين القوم ونريد اللحاق بهم فلا نستطيع » .

*

## التخلف جريمة فى حق الإسلام

● كيف نخرج من هذا التخلف ونعوِّض ما فاتنا ؟

● ● لا بد من وعى بضرورة هذا الأمر ، واعتباره فريضة علينا .. إن التخلف جريمة منكرة فى حق الإسلام ، ثم لا بد من تفجير طاقات الإنسان المسلم عندنا ولا يفجر هذه الطاقات إلا الايمان .

لا بد من تنمية الإيمان فى نفوس الناس . القرآن الكريم يشير إلى أن الإنسان عنده أحياناً طاقة تماثل عشرة أمثال ما عند غيره كما فى قوله تعالى : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ﴾ (١) .. الإنسان بالصبر والاحتمال يمكن أن يكون عنده ما عند عشرة أمثاله .. ومن هنا نستطيع أن نهيئ ونجند طاقات أمتنا لو قدناها بالإيمان ، قدناها بالله اكبر ، لو رفعنا أمامها المصحف وقلنا لها : سيرى على بركة الله ..

التقدم ليس كلمة تقال ولكنه يحتاج إلى مناخ صحى ، مناخ إيمانى ، مناخ أخلاقى ، مناخ سياسى . والذين يظنون أن عملية التكنولوچيا والتقدم المادى

---

(١) الأنفال : ٦٥

بعيدة عن العقيدة أو بعيدة عن الأخلاق مخطئون ، إننا لا نستطيع أن نوجد الصانع الذى يتقن عمله ويتفوق فيه ويصنع الآلة المحكمة إلا فى ظل أخلاق تراعى فيها الأمانة ويعرف فيها الصانع : « إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ، و « إن اللّه كتب الإحسان على كل شئ » ..

وباختصار .. فإن العودة إلى الإسلام الحقيقى الذى نحسن فهمه ونحسن تطبيقه ، ونعيش فى رحابه ، هى التى توصلنا إلى التقدم المنشود وتجعلنا نتجاوز مرحلة التخلف التى نشكو منها .

* * *